أثر الفقهاء في نشر الإسلام في إفريقيا
دولة المرابطين نموذجا

أ.د. عبد العزيز بن سعود الضويحي (*)

• **مقدمة:**

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله...

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿يا يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢).

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣).

(*) أستاذ الفقه المقارن والسياسة الشرعية في قسم الدراسات الإسلامية- بكلية التربية في جامعة الملك سعود.

(١) سورة آل عمران، الآية : (١٠٢) .

(٢) سورة النساء، الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان : (٧٠،٧١) .

أما بعد،،،

فإن تاريخ دولة المرابطين يعد صفحة مشرقة من تاريخ العالم الإسلامي، رغم قصر عمر دولة المرابطين ،فلم تكد تتجاوز مائة عام (٤٤٨ – ٥٤١هـ)، إلا أن هذا التاريخ حافل بالإنجازات التي سجلها التاريخ لدولة المرابطين، فقد نشروا الإسلام في المغرب الأقصى، بعد أن انتشر الجهل بينهم، وأقاموا دولة بعد التمزق السياسي الذي كان يسود المغرب الأقصى، وحاربوا الفساد الذي انتشر في المغرب، وخلصوا الأندلس من التمزق والفساد في واقعة الزلاقة المشهورة عام ٤٧٨هـ التي كانت سببا في توحيد المغرب الأقصى والأندلس تحت راية واحدة.

كما تعد نشأة دولة المرابطين على يد العالم الجليل عبدالله بن ياسين من الإنجازات التي قام بها علماء المغرب الأقصى، فقد نجح في تربية جيل من أهل الصحراء على معاني الإسلام وأحكامه، وجعل منهم قادة جمعوا بين التمسك بالشريعة الإسلامية على منهج إسلامي سليم مع الحنكة السياسية والقدرة العسكرية. و للفقهاء في دولة المرابطين جهود عظيمة في نشر الإسلام بين قبائل المغرب الأقصى في إفريقيا، لذلك أحببت المشاركة من خلال هذا البحث ،الذي يقع في بابين وفصول على النحو الآتي:

* **الباب الأول: لمحة تاريخية عن دولة المرابطين.**

الفصل الأول: نشأة دولة المرابطين.

الفصل الثاني: أمراء دولة المرابطين، وجهودهم في نشر الإسلام.

الفصل الثالث: العلاقة بين دولة المرابطين والخلافة العباسية

* **الباب الثاني: عقيدة دولة المرابطين، وموقفهم من الفرق المخالفة، وموقف دولة الموحدين وبعض المستشرقين من دولة المرابطين، وأبرز علماء المرابطين**

الفصل الأول: عقيدة دولة المرابطين.

الفصل الثاني: موقف دولة المرابطين من أصحاب البدع.

الفصل الثالث: موقف دولة الموحدين، وبعض المستشرقين من دولة الموحدين.

الفصل الرابع: أبرز علماء دولة المرابطين.

ويطيب لي أن أتقدم وزملائي أعضاء مجموعة الدراسات الإسلامية المعاصرة البحثية بخالص الشكر إلى عمادة البحث العلمي في جامعة الملك سعود على دعمها لهذا البحث من خلال مشروع المجموعات (مجموعة رقم: ٠١٩- RGB-VBB) سائلا الله تعالى أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

- **الباب الأول: لمحة تاريخية عن دولة المرابطين:**
- **الفصل الأول: نشأة دولة المرابطين:**

قامت دولة المرابطين[1] في المغرب الأقصى في القرن الخامس

(١) يرجع سبب تسمية هذه الدولة بالمرابطين ،كما ذكر بعض المؤرخين إلى: أن الشيخ عبد الله بن ياسين أطلق عليهم اسم المرابطين، لما رأى من شدة صبرهم في القتال.
انظر: الحلل الموشية ص٢١، وكتاب أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص٢٢٨، وتاريخ ابن خلدون ١٨٣/٦، وكتاب دور المرابطين في نشر الإسلام، ص٧٧، وكتاب التاريخ الأندلسي، ص٤٢٠، وكتاب الاستقصاء ١٠٠/١.
وقد ذكر ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان ١٢٩/٧ أن الذي أطلق عليهم المرابطين هو يوسف بن تاشفين، وإن صح هذا فلا يمنع أن يوسف بن تاشفين أطلق عليهم "المرابطين" مرة أخرى، لما في هذا اللقب من المدح والثناء، فأطلقه من باب التأكيد، والله أعلم.
وذكر صاحب الأنيس المطرب ص١٢٥ أن عبد الله بن ياسين سماهم بالمرابطين للزومهم رابطته. وانظر: المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس ص١٠٦.
ولا يتعارض هذا القول مع القول الأول، فيمكن أنهم سموا بالمرابطين من أجل هذين السببين، والله أعلم.

الهجري، وهذه الدولة التي قدمت للتاريخ الإسلامي صفحات مشرقة يفخر بها التاريخ الإسلامي لم يتجاوز عمر هذه الدولة قرناً من الزمان.

يقول بعض المؤرخين[١]: "فكانت مدة إقامتهم في الملك (أي المرابطين) منذ نزلوا مراكش إلى أن انفصلوا عنها، وأخرجهم عنها المصامدة، نحوًا من ست وسبعين سنة".

وهذا العمر بالنسبة للدول يعد في حقيقة الأمر عمرًا قصيرًا جدًا.

وفي هذه المدة القصيرة من الزمن قدمت هذه الدولة أمورًا جعلتها مفخرة للتاريخ المغربي والإسلامي.

"ويرجع تأسيس الدعوة المرابطية إلى قبيلة لمتونة، إحدى بطون صنهاجة من البرانس، وإحدى كبرى قبيلتين (البرانس والبتر) اللتين يتكون منهما البربر، وعموم سكان الشمال الأفريقي.

لذا تسمى الدولة المرابطة أيضًا الدولة اللمتونة واللمتونيين"[٢].

كذلك يطلق على هذه الدولة الملثمين، وذلك لأنهم يتلثمون ولا يكشفون وجوههم، وذلك سنة لهم يتوارثونها[٣].

---

(١) هو عبد الواحد المراكشي، انظر كتابه: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص١٠١، وانظر: أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص٢٦٥.

(٢) انظر: التاريخ الأندلسي، ص٤١٩.

(٣) قال ابن خلكان في وفيات الأعيان ١٢٩/٧: (وسبب ذلك على ما قيل أن حمير كانت تتلثم لشدة الحر والبرد، يفعله الخواص منهم، فكثر ذلك حتى صار يفعله عامتهم، وقيل كان سببه أن قومًا من أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم إذا غابوا عن بيوتهم، فيطرقون الحي فيأخذون المال والحريم، فأشار عليهم بعض مشايخهم أن يبعثوا النساء في زي الرجال إلى ناحية ،ويقعدوا هم في البيوت ملثمين في زي النساء، فإذا أتاهم العدو ظنوهم النساء فيخرجون عليهم، ففعلوا ذلك، وثاروا عليهم بالسيوف فقتلوهم، فلزموا اللثام تبركا بما حصل لهم من الظفر بالعدو).
وانظر: الكامل ٢٦٠/٩، والحلل الموشية ص٢٨، ودور المرابطين في نشر الإسلام ص٣٠.

وكانت لمتونة تتولى رئاسة سائر هذه القبائل، ثم آلت الرئاسة إلى قبيلة جدالة، على عهد الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي.

فخرج يحيى بن إبراهيم إلى الحج في رؤساء من قومه في سنة ٤٤٠هـ فلقوا في منصرفهم بالقيروان شيخ المذهب المالكي أبا عمران الفاسي[١]، وأعجب الشيخ أبو عمران بالأمير يحيى لما رأى منه من حب الخير وحرصه على العلم.

وعرفه يحيى بن إبراهيم بسوء الأحوال في بلاده، وجهل قبائلها بأصول الدين وفروع الشريعة، وطلب من أبي عمران أن يبعث معه أحد طلبته، ولم يجد الشيخ أبو عمران بغيته من بين تلاميذه، فأرسل الأمير يحيى إلى الشيخ وجاج بن زللو اللمطي[٢] فقيه المالكية بالسوس، ومما جاء في رسالة أبي عمران إلى الشيخ وجاج: أن يلتمس له من يثق بدينه وفقهه، ويروض نفسه مسغبة أرضهم في معاشه.

وسار يحيى بن إبراهيم بكتاب الشيخ أبي عمران إلى الفقيه وجاج.

---

(١) هو موسى أبو عمران بن عيسى بن أبي حجاج الغفجومي، استوطن القيروان، وحصلت له بها رياسة العلم، كان – رحمه الله تعالى – من أحفظ الناس وأعلمهم، توفي سنة ٤٣٠هـ. الديباج المذهب ٣٣٧/٢.

(٢) فقيه مالكي، تخرج بأبي عمران الفاسي، بنى دارًا للعلم بالسوس، وتعلم عليه عبد الله بن ياسين. انظر: حاشية المهدي بن تومرت ص٣٧، وحاشية دور المرابطين في نشر الإسلام، ص٦١.

ملاحظة: يسميه ابن خلدون ١٨٢/٦: وكاك، وصاحب المؤنس ص١٠٥: وهاج.

قال ابن خلدون: "فبعث معهم عبد الله بن ياسين بن بك الجزولي[١]، ووصل معهم يعلمهم القرآن، ويقيم لهم الدين، ثم هلك يحيى بن إبراهيم وافترق أمرهم، وأطرحوا عبد الله بن ياسين، واستصعبوا علمه، وتركوا الأخذ عنه لما تجشموا فيه من مشاق التكليف، فأعرض عنهم"[٢].

فرأى عبد الله بن ياسين أن يرحل إلى بلاد السودان، ولكن الأمير يحيى بن عمر – الذي اختاره عبد الله بن ياسين خليفة للأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي – تمسك به، وأشار عليه بمكان بعيد، حيث يمكنه اعتزال الفتنة.

وانتقل عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمرو وجماعة لمكان بعيد في الصحراء، قال فيه ابن خلدون: "فنبذوا عن الناس في ربوة يحيط بحر النيل من جهاتها، ضحضاحا في المصيف، وغمرا في الشتاء، فتعود جزرًا منقطعة"[٣].

وبنى له في هذا المكان رباطًا، اجتمع حوله عدد قليل ممن سمع عن هذا الرباط.

وتذكر كتب التاريخ أنه أي عبد الله بن ياسين كان يطبق الإسلام في هذا الرباط من إقامة الصلوات، وتفقيه أصحابه بدين الإسلام.

---

(١) سوف تأتي له ترجمة وافية في الباب الثاني في الفصل الثالث.

(٢) تاريخ ابن خلدون ١٨٢/٦.

(٣) المصدر السابق:١٨٣/٦، وانظر الاختلاف في تحديد الموقع: دور المرابطين في نشر الإسلام، ص٧٠، فقيل أنه في جزيرة قبالة البحر الغربي أي المحيط الأطلسي، وقيل أنها جزيرة في مصب نهر السنغال ، وقيل في جزيرة تدرا على الشاطئ الموريتاني. أنظر: الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين ص ٦١.

يقول صاحب الأنيس المطرب[1]: "كان عبد الله بن ياسين هو الذي يعلمهم الكتاب والسنة، والوضوء، والصلاة، والزكاة، وما فرض الله عليهم من ذلك"[2].

يقول ابن خلدون: "وتسامع بهم من في قلبه مثقال حبة من خير فتسايلوا إليهم، ودخلوا في دينهم وغيضتهم. ولما كمل معهم ألف من الرجلات، قال لهم شيخهم عبد الله بن ياسين: أن ألفا لن تغلب من قلة، وقد تعين علينا القيام بالحق، والدعاء إليه، وحمل الكافة عليه، فأخرجوا بنا لذلك، فخرجوا وقتلوا من استعصى عليهم من قبائل لمتونة وكثالة ومهمومة، حتى أنابوا إلى الحق واستقاموا على الطريقة، وأذن لهم في أخذ الصدقات من أموال المسلمين، وسماهم بالمرابطين، وجعل أمرهم في العرب إلا الأمير يحيى بن عمر"[3].

وكان عبد الله بن ياسين قبل أن يعلن الجهاد قد أمر تلاميذه أن يذهب كل منهم إلى قبيلته أو عشيرته، يدعوهم إلى العمل بأحكام الله وسنة نبيه، فلما لم يجد من أجابه أعلن الجهاد والحرب عليهم[4].

---

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمر الفاسي، توفي سنة ٧٢٦هـ، كان كاتبًا لأبي سعيد عثمان المريني (٧١٩ - ٧٣٠).
انظر: المغرب في تاريخ المغرب ١١٤/٢، وتاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص٢٤.

(٢) انظر: الأنيس المطرب، ص١٢٥.

(٣) تاريخ، ابن خلدون، ١٨٣/٦.

(٤) انظر: تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص٤١، وكتاب المغرب الكبير، ٦٩٦/٢.

يقول صاحب الحلل الموشية: "وكان الأمير أبو زكريا إذا تقدم بجيشه، قدم أمامه الشيخ أبا محمد عبد الله بن ياسين، والشيخ كان في الحقيقة الأمير، وهو الذي يأمر وينهى، وكان يقول لهم: إنما أنا معلم دينكم"[١].

وأخذ المرابطون في الجهاد، وبدا بجدالة فأوقعوا فيهم واقعة كبيرة، وانتصروا عليهم، ولم يزل أمرهم في انتصار، حتى خضعت لمتونة وجدالة ولمطة وغيرها، واستقاموا على الإسلام.

وفي إحدى المعارك التي قام بها المرابطون قتل فيها الأمير يحيى بن عمر سنة ٤٤٧هـ، وعين عبد الله بن ياسين أبا بكر بن عمر ليحل محل أخيه الأمير يحيى بن عمر، وقلده أمر الحرب.

وأخذ عبد الله بن ياسين البيعة من القبائل[٢]، ولم يزل أمر المرابطين في ظهور وانتصار، حتى قتل عبد الله بن ياسين في إحدى المعارك بين المرابطين والبرغواطيين[٣] سنة ٤٥١هـ.

قال ابن خلدون: :وقد أم المرابطين بعده – أي بعد عبد الله بن ياسين – سليمان ابن حروا ليرجعوا إليه في قضايا دينهم"[٤].

واستمر أبو بكر في الجهاد، ونازل مدينة لواتة، وافتتحها سنة ٤٥٢هـ، وفي هذه السنة حدث شقاق ونزاع بين بعض قبائل صنهاجة، فذهب من أجل

---

(١) الحلل الموشية، ص٢١.

(٢) انظر: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ص١٥.

(٣) سوف يأتي الحديث عنهم إن شاء الله.

(٤) تاريخ ابن خلدون، ١٨٤/٦.

حسمه، خوفًا من أن تفترق كلمتهم، وأوكل إدارة الدولة خلال غيابه لابن عمه، يوسف بن تاشفين.

وفي خلال غياب أبي بكر بن عمر، برز يوسف بن تاشفين في إدارة الدولة بجانب شهرته في قيادة جيوش المرابطين.

وحين عاد أبو بكر بن عمر، ورأى ما عمل يوسف بن تاشفين، تنازل ليوسف بن تاشفين الذي استمر في الحكم حتى وفاته سنة ٥٠٠هـ، ومن خلال حكمه اتضحت دولة المرابطين على خارطة العالم الإسلامي.

- **الفصل الثاني: أمراء دولة المرابطين وجهودهم في نشر الإسلام:**

أولاً: إمارة الأمير أبي زكريا يحيى بن عمر:

إمارة يحيى بن عمر كانت بعد الأمير يحيى بن إبراهيم الجدلي، الذي يعد سببًا رئيسًا في قيام دولة المرابطين، وانتشار الإسلام بين قبائل الملثمين.

وقد ذكرنا طرفًا موجزًا من سيرته في الفصل السابق، فلا نعيد ذلك للاختصار، وقد ذكر كذلك طرفًا من سيرة الأمير يحيى بن عمر، وسأعيد ذكر جوانب من سيرته وأعماله باختصار، لما في ذلك من توضيح الدور الذي قام به المرابطون في نشر الإسلام.

والأمير يحيى بن عمر تخرج على يد الشيخ عبد الله بن ياسين، لذلك كان أبو زكريا يحيى بن عمر من أشد الناس انقيادًا للشيخ عبد الله بن ياسين[1].

---

(١) انظر: البيان المغرب ٩/٤، والحلل الموشية ص٢١، وأعمال الأعلام، القسم الثالث، ص٢٢٨، والإحاطة في أخبار غرناطة، ٣٤٨/٤.

ويذكر أهل التاريخ قصة تبين مدى طاعة الأمير يحيى بن عمر للشيخ عبد الله بن ياسين، فقد قال له الشيخ عبد الله بن ياسين في بعض الحروب: "أيها الأمير إن عليك أدبًا، فقال له يحيى: وما الذي أوجبه عليّ؟ فقال له عبد الله: لا أخبرك حتى آخذ حق الله بك، فحكمه في نفسه، وضربه بالسوط ضربات في رجله، ثم قال له: إن الأمير لا يدخل القتال بنفسه؛ لأن حياته حياة عسكره، وهلاكه هو هلاكهم"(١).

فقد كان الأمير يحيى بن عمر من قبيلة لمتونة، وكذلك ينتسب إلى هذه القبيلة جميع أمراء المرابطين الذين أتوا بعد الأمير يحيى بن عمر.

وهذه القبيلة – أي لمتونة – مشهورة بالشدة في القتال، يقول أبو عبيد عبد الله البكري: "كان للمتونة في قتالهم في ابتداء أمرهم شدة وجلد، ليس كذلك لغيرهم، وكانوا يختارون الموت على الانهزام، ولا يحفظ لهم فرار من زحف"(٢).

---

(١) انظر: البيان المغرب ١١/٤.

وهذا الحكم – والله أعلم – ليس على إطلاقه، فإن الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان يقاتل بنفسه، وكذلك كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – إذا أرسل جيشًا لا يأمر القائد بعدم مباشرة القتال، كما حدث في مؤتة، إذ إن مباشرة القائد القتال فيه رفع لحماس الجند، والشد من عزيمتهم، لكن قد تكون المصلحة بخلاف ذلك لوجود أسباب، فيقتضي الأمر عدم المشاركة للمصلحة. فإطلاق الحكم فيه نظر، علمًا أن القاضي عياض في كتابه المدارك، ذكر أن المضروب هو أبو بكر بن عمر ٨٢/٨، أما البكري في كتابه المغرب، وأبو زرع في الأنيس المطرب كما في كتاب دور المرابطين في نشر الإسلام، ص٨٤، فهم على أن المضروب هو يحيى.

(٢) البيان المغرب ١١/٤، والحلل الموشية، ص٢١.

وبجانب هذه الصفات التي كان يتمتع بها الأمير يحيى بن عمر، فقد كان إلى جانب ذلك من أهل الفضل والورع والزهد في الدنيا[١].

هذه الصفات جعلته أهلاً لأن يكون قائد الزحف المرابطي في بداية تكوين دولة المرابطين.

فعندما أعلن عبد الله بن ياسين الجهاد قاد يحيى بن عمر جيش المرابطين في أكثر من موقعة، مع أن مدة أمارته كانت قليلة.

"فقد استولى على جميع بلاد الصحراء، ونشر فيها الإسلام، كذلك فتح الكثير من بلاد السودان الغربي، وعندما وردت على عبد الله والأمير يحيى بن عمر المخاطبات من فقهاء سجلماسة ودرعة يستدعون لإقامة العدل ورفع ما ارتكبه أمراء زناتة من الجور، خرج جيش المرابطين بقيادة يحيى بن عمر، وعبد الله بن ياسين عام ٤٤٧هـ من الصحراء، فتغلبوا على درعة، وأتيح لهم الظهور على جيش بن أنودين، وفتحوا سجلماسة، ثم قفلوا إلى الصحراء، وثار أهل سجلماسة بمن حل فيها من اللمتونيين، فقتلوهم وكر إلى الأخذ بثأرهم الأمير يحيى بن عمر، فكانت عليه وقيعة قتل فيها"[٢] وذلك سنة ٤٤٨هـ[٣].

ثانيًا: الأمير أبو بكر ابن عمر:

أبو بكر كنيته غالبة على اسمه ابن عمر تلا كاكيف اللمتوني[٤].

---

(١) انظر: المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس، ص١٠٦، ودور المرابطين في نشر الإسلام، ص٨٣، ودول الطوائف، ص٣٠٣.

(٢) انظر: أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص٢٢٨.

(٣) انظر: البيان المغرب ١٤/٤. وهناك خلاف ذكر في سنة وفاته. انظر: دور المرابطين في نشر الإسلام، ص٨٣.

(٤) أعمال الأعلام، القسم الثالث ص٢٣١، والبيان المغرب ١٥/٤.

كان – رحمه الله تعالى – صالحًا متورعًا في أمارته[١]،"وكان يقيم الحدود، ويحفظ محارم الإسلام، ويحوط الدين، ويسير في الناس سيرة شرعية، مع صحة اعتقاده ودينه، وموالاة الدولة العباسية"[٢].

وتولى الإمارة بعد أخيه يحيى بن عمر، بأمر من الشيخ عبد الله بن ياسين، فقد أخذ له البيعة من أهل سجلماسة وغيرهم[٣].

وواصل الأمير أبو بكر ابن عمر الجهاد، فقد خرج المرابطون يقودهم عبد الله بن ياسين، وقائدهم الحربي أبو بكر ابن عمر، فاتجهوا أولاً إلى بلاد السوس، واستولوا على قاعدتها تارودانت. وقضوا على الشيعة والوثنيين، كما قاتلوا اليهود المنتشرين في تلك النواحي، فأعادوا تلك المناطق إلى مذهب أهل السنة والجماعة[٤].

ثم اتجهوا بعد ذلك إلى بلاد الحوز، واستولوا على عاصمتها اغمات، وقتلوا أميرها، واختارها المرابطون عاصمة مؤقتة.

ثم اتجه عبد الله بن ياسين وأبو بكر ابن عمر نحو برغواطة، وهي قبيلة معروفة ببعدها عن الإسلام، تعيش في جاهلية[٥].

ودارت معركة قوية انتهت بإصابة عبد الله بن ياسين بجراح بالغة،

---

(١) المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ص١٠٦، وانظر: أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص٢٣٢.

(٢) البداية والنهاية ١٢/١٤٣.

(٣) انظر: البيان المغرب ٤/١٥.

(٤) روض القرطاس ٢/٢١، بواسطة في التاريخ العباسي، أحمد مختار، ص٥٠٣.

(٥) سوف يأتي الحديث عنها في الباب القادم إن شاء الله.

توفي على إثرها في نفس اليوم عام ٤٥١هـ، فأعاد الأمير أبو بكر صف جيش المرابطين، وأعاد الكرة على البرغواطيين، فهزمهم، وغنم منهم مغانم كثيرة، وتفرقت برغواطة في الصحراء، وأذعنوا له بالطاعة، وأسلموا إسلامًا جديدًا[١].

بعد ذلك بلغ الأمير أبو بكر ابن عمر نزاع بين قبائل في الصحراء سنة ٤٥٢هـ ووقوع فتن، فدعا بابن عمه الأمير يوسف بن تاشفين اللمتوني، قائده على الجيوش ففوض إليه أمر المغرب، وأمره بالرجوع إلى قتال المخالفين[٢].

فلما عاد أبو بكر ابن عمر من الصحراء، وأنهى النزاع الذي كان بين القبائل المتنازعة، ورأى حسن صنع يوسف بن تاشفين على قول بعض المؤرخين[٣] فتنازل له عن الملك، سنة ٤٦٥هـ، وبعض المؤرخين يذهب إلى أن يوسف بن تاشفين ذاق طعم الملك، فأبى أن يترك ذلك، وأحس بذلك أبو بكر ابن عمر فتنازل له عن الملك عندما يئس منه[٤].

والبعض ذكر أنه مات وهو على الإمارة، وتولى بعده يوسف بن تاشفين[٥].

لكن هناك اتفاق بين أهل التاريخ أنه لم يحدث قتال بين الأمير أبي بكر، ويوسف ابن تاشفين.

---

(١) انظر: دور المرابطين في نشر الإسلام، ص٩٧.

(٢) انظر: أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص٢٣٢.

(٣) انظر: تاريخ الأندلس، ص٤٢٠.

(٤) انظر: أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص٢٣٣، والبيان المغرب ٤/٤٥.

(٥) انظر: ابن الأثير، ٩/٧١.

وعندما أراد أبو بكر ابن عمر الذهاب إلى الصحراء قال ليوسف بن تاشفين كلامًا يدل على عظم منزلة أبي بكر ابن عمر في اهتمامه بالمسلمين.

قال له: "يا يوسف، اتق الله في المسلمين، ولا تضيع شيئًا من أمورهم، فإنك مسئول عنهم، والله خليفتي عليك وعليهم، ثم ولي إلى الصحراء، فكان آخر العهد به"[١].

وقد ذكر بعض المؤرخين سببًا عجيبًا في ترك أبي بكر الإمارة، "وذلك أنه سمع عجوزًا في بلاده ذهبت لها ناقة في غارة فبكت، وقالت: ضيعنا أبو بكر ابن عمر بدخوله إلى بلاد المغرب، فحمله ذلك على أن استخلف على بلاد المغرب يوسف بن تاشفين، ورجع إلى بلاده الجنوبية"[٢].

وقد قتل شهيدًا في بعض حروب السودان بسهم مسموم في شعبان سنة ٤٨٠هـ[٣] رحمه الله تعالى.

ثالثًا: الأمير يوسف بن تاشفين:

هو أبو يعقوب، يوسف بن تاشفين اللمتوني، أمير المسلمين، وملك الملثمين[٤].

---

(١) أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص٢٣٣.

(٢) ذكر هذا السبب ابن خلكان ١١٣/٧ ناقلاً ذلك عن كتاب (المعرب عن سيرة ملك المغرب)، وقد قال ابن خلكان أن المؤلف مجهول.

(٣) أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص٢٣٣.

(٤) وفيات الأعيان ١١٢/٧.

ويعرف أيضًا بأمير المرابطين[١].

وكان رجلاً دينًا خيرًا حازمًا داهية مجربًا[٢] حليمًا كريمًا، يحب أهل العلم والدين، ويحكمهم في بلاده، وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام[٣]، وهو مع ذلك يحب الشجاعة والإقدام[٤].

وكان – رحمه الله تعالى – خائفًا لربه، كتومًا لسره، كثير الدعاء والاستخارة، مقبلاً على الصلاة، مديمًا للاستغفار.

وكان – رحمه الله تعالى – مولعًا بالاقتصاد في الملبس والمطعم والمسكن، إلى أن لقي الله مجدًا في الأمور، مستحبًا حال الجد، مؤديًا إلى الرعايا حقها، من الذب عنها، والغلظة على عدوها، وإفاضة الأمن والعدل فيها، يرى صور الأشياء على حقيقتها[٥].

"وكان يوسف بن تاشفين لا يعرف اللسان العربي، لكنه كان يجيد فهم المقاصد، وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية"[٦].

وقد واصل الأمير أبو يعقوب الجهاد ونشر الإسلام في المغرب، وتوحيد بلاد المغرب بعد توليه إمارة المرابطين، سنة ٤٦٥هـ.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٥٢/١٩.

(٢) ابن الأثير ٧٥/٨.

(٣) ابن الأثير ٢٣٧/٨.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ٢٥٢/١٩، ووفيات الأعيان ١١٣/٧.

(٥) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة ٣٤٩/٤، نقل الخطيب هذا الكلام عن أبي بكر بن محمد الصيرفي، وقد أطال الصيرفي في الثناء عليه، ونقلت ذلك باختصار.

(٦) وفيات الأعيان ١٤٤/٧، وانظر: الاستقصاء ١١٢/١.

ففي سنة ٤٦٦هـ فتح مدينة مكناسة، وواصل فتح البلدان ففتح فاس، وفتح مدينة تلمسان، وقد خط قبل ذلك مدينة مراكش[١]، وجعلها عاصمة له.

وواصل يوسف بن تاشفين إخضاع قبائل المغرب، ثم تطلع بعد ذلك إلى معبري الأندلس طنجة وسبتة، وكان يحكمها سكوت البرغواطي، فاشتبك المرابطون وهزم سكوت، وواصل الفتوح وانضم اليد معظم بلاد المغرب، ووصلت الفتوحات حتى الجزائر.

بعد ذلك عاد يوسف بن تاشفين إلى مراكش في سنة ٤٧٥هـ.

ووصلت يوسف بن تاشفين كتب ووفود كثيرة، بعث بها أهل الأندلس وفقهاؤها، وبعض أمرائها إلى يوسف بن تاشفين، مطالبين مساعدته، ومنهم المعتمد بن عباد وكانت الأندلس في ذلك الوقت يحكمها دول الطوائف، وكانت أسبانيا النصرانية قد أنهكتها، واستزفت قواها، حتى سقطت طليطلة، حتى أن أدفونش أمير النصرانية أرسل إلى يوسف بن تاشفين رسالة يتهدده فيها، ويقول: "إنك اليوم أمير المسلمين ببلاد المغرب وسلطانهم، وأهل الأندلس قد ضعفوا عن مقاومتي ومقابلتي، وقد أذللتهم بأخذ الجزية منهم بالقتل والأسر والذل والقهر، وأنا لا أقنع إلا بأخذ البلاد.. "[٢]، إلى آخر الرسالة التي يتهدده فيها.

فكان جواب يوسف بن تاشفين أن كتب له على ظهر كتابه:

"من أمير المسلمين يوسف إلى أذفونش.. أما بعد، فإن الجواب ما تراه بعينك لا ما تسمعه بإذنك، والسلام على من اتبع الهدى..

---

(١) اختلف في سنة تأسيس مراكش، انظر: المغرب الكبير ٢/٧٠٢.

(٢) أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص٢٣٩، وانظر: الحلل الموشية، ص٤٣.

وأردف الكاتب ببيت أبي الطيب:

ولا كتب إلا المشـرفية والقنـا ولارسل إلا الخميس العرمرم"[1]

فعبر يوسف بن تاشفين إلى الأندلس بعد أن جهز جيشه بالعدة، وكان ذلك سنة ٤٧٩هـ من مدينة سبتة مضيق جبل طارق، ونزل الجزيرة الخضراء وحصنها، ووافاه أكثر رؤساء الأندلس، ثم زحف إلى أشبيلية، حتى التقى مع الفونسو السادس، ودارت معركة من معارك الإسلام البارزة في التاريخ الإسلامي، والتي ارتفعت فيها راية الإسلام ونكس فيها الصليب.

وهذه المعركة هي امتداد طبيعي لسلسلة ذهبية من ملاحم الإسلام الخالدة.

يقول بعض المؤرخين عنها: "أظهر الله فيها دين الإسلام، ونصر حزبه، ونفس عنه كربه، ولم يكن في الأندلس غزوة أعظم منها"[2].

هذه المعركة تعرف باسم "الزلاقة" كان عدد المسلمين فيها ثمانية وأربعين ألفًا، نصفهم من الأندلسيين، ونصفهم من المرابطين، وجيش الفونسو كان مائة ألف من المشاة، وثمانين ألفًا من الفرسان"[3].

دارت هذه المعركة في ١٢ رجب سنة ٤٧٩هـ، وانتهت هذه المعركة بانتصار الإسلام، وهزم الفنش، ولم يبق معه إلا عدد قليل جدًا.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الحلل الموشية، ص٦٢.

(٣) الزلاقة، بقيادة يوسف بن تاشفين، شوقي خليل، ص٤٢.

يذكر بعض المؤرخين "أنه لم ينج إلا الفنش ومعه أربعمائة مثقلون بالجراح، ولم يدخل إلى بلد قشتالة إلا في خمسين فارسًا"[١].

وهذه المعركة كانت لها نتائج كثيرة[٢]، والحديث عنها يطول، وإنما الغرض هنا الإشارة إليها فقط.

بعد ذلك عاد يوسف بن تاشفين إلى المغرب، ولم يواصل ملاحقة الجيش المنهزم والفتوحات، وذكر بعض المؤرخين أن سبب ذلك وفاة ابنه أبي بكر، فخاف من الفتنة بعد وفاة أبي بكر ولي العهد، فعاد من أجل ذلك، وذكر غير ذلك[٣].

بعد أن عاد إلى المغرب جمع الفونسو جيشًا، وأراد الغارة على الأندلس والممالك الإسلامية مرة أخرى، فطلب أهل الأندلس من يوسف إنقاذهم مرة أخرى، وعلى رأس هؤلاء المعتمد بن عباد.

وعبر يوسف إلى الأندلس عبوره الثاني في ٤٨١هـ، ولكن لم يلق المساعدة من ملوك الطوائف سوى المعتمد بن عباد وآخرين، وحاصر حصن لبيط، ثم أنهى الحصار لعدم جدوى ذلك، وعاد إلى المغرب.

ولم يمض عام آخر حتى أعد يوسف بن تاشفين العدة مرة أخرى للعبور الثالث للأندلس.

والهدف في هذه المرة يختلف عن العبورين السابقين، فلم يكن نتيجة استغاثة أحد من الأندلس، وإنما أراد الاستيلاء على الأندلس.

---

(١) المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ص١٠٨.

(٢) انظر: تاريخ المغرب والأندلس، ص٥٩، فقد ذكر بعض نتائج المعركة.

(٣) انظر: دور المرابطين في نشر الإسلام، ص١٢٠.

يذكر بعض المؤرخين "أنه لما أحس بمكر وغدر رؤساء الأندلس استفتى العلماء، فكلهم أفتاه بخلعهم، أي خلع أمراء الأندلس، وقالوا ليوسف: نحن خصماؤك عند الله، لأن هؤلاء لا تجوز طاعتهم لما ارتكبوه من الفجور، وانتهاك المحارم، وضيعوا غالب البلاد"(١).

فخلع يوسف جميع أمراء الأندلس، ولبث يوسف بن تاشفين حينًا في سبتة، وكان يمد جيوشه في الأندلس، بعد ذلك عاد إلى مراكش، وعهد بشئون الأندلس إلى كبير قادته، الأمير/ سير بن أبي بكر اللمتوني(٢).

وعاد يوسف إلى الأندلس سنة ٤٩٦هـ حيث جاز إليها جوازه الرابع، وكانت ممالك الأندلس في أيدي المرابطين، ما عدا سرقسطة، التي استولى عليها المرابطون بعد ذلك، وجهز جيشًا بقيادة محمد بن الحاج، والتقى هذا الجيش مع الفونسو وهزمه.

وقصد يوسف بن تاشفين إلى قرطبة، وأخذ البيعة لولده علي لما عرف فيه من النباهة والورع والحزم وكان مع علي أخوه الأكبر أبو طاهر تميم(٣).

وذرية يوسف بن تاشفين على النحو الآتي:

---

(١) المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ص١٠٨، وقد ذكر أسباب غير ذلك. انظر: دول الطوائف، ص٣٣٧.

(٢) انظر: دول الطوائف، ص٣٧١.

(٣) انظر: دول الطوائف ص٣٧١.

يوسف بن تاشفين[١]

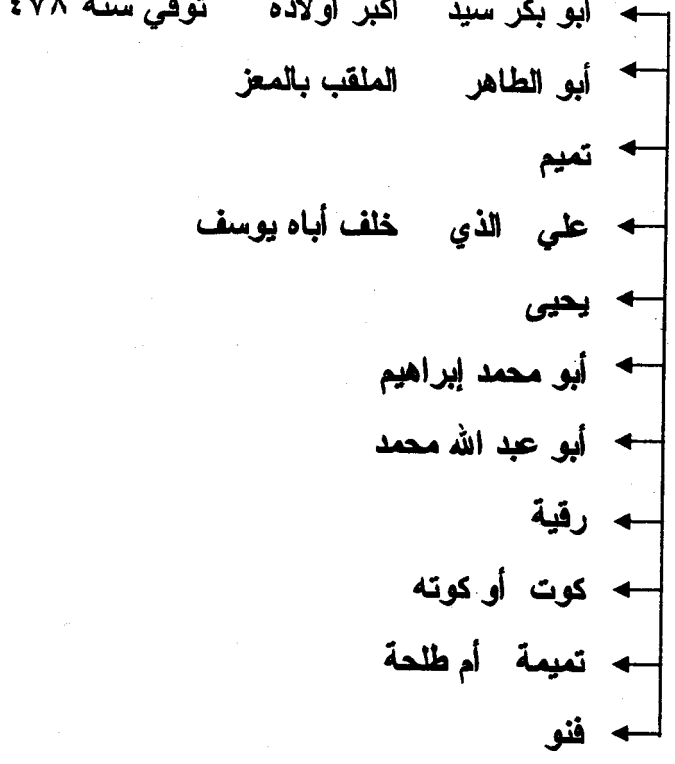

وفي أواخر سنة ٤٩٨هـ مرض يوسف بن تاشفين في مراكش، واستمر مرضه حتى توفي سنة ٥٠٠هـ وله من العمر مائة سنة[٢].

ولابد لي أن أذكر في نهاية ترجمة الأمير يوسف بن تاشفين أن ترجمته – رحمه الله تعالى – حافلة بالأعمال والمناقب، التي لو ذكر معظمها لاحتاج ذلك إلى بحث مستقل، بل إن بعض أعماله مثل معركة الزلاقة لو فُصِّل

(١) استفدت هذا الشكل من حاشية الدكتور حسين مؤنس على كتاب الحلة السيراء، ٢١٢/٢.

(٢) انظر: أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص٢٥٢، والمؤنس ص١٠٩ وغيرها.

القول فيها بذكر أسبابها ونتائجها ووصفها لاحتاج ذلك إلى بحث مستقل، ولكنني اقتصرت في هذه الترجمة المختصرة على الإشارة فقط إلى بعض أعماله.

رابعًا: أمارة علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني:

كنيته أبو الحسن[1]."كان – رحمه الله تعالى – ملكًا كبيرًا فاضلاً معتدلاً، ملك جميع المغرب إلى بجاية، إلى الأرض الأندلسية والجزر الجوفية وبلاد القبلة بأسرها، وخطب له على أكثر من ألفي منبر"[2].

وقد أثنى عليه كثير من المؤرخين، الذين كتبوا عن دولة المرابطين، حتى قال فيه عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب: "كان إلى أن يعد في الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يعد في الملوك والمتغلبين"[3].

ووصف رحمه الله تعالى بحبه لأهل الدين وتقريبه لهم.

وقد سار – رحمه الله تعالى – على خط أبيه في الجهاد ونشر الإسلام، فقد ولى أخاه تميم بن يوسف غرناطة، وأسند إليه قيادة الجيش المرابطي في الأندلس، وانتصر جيش المرابطي في موقعة "اقليش" ،التي تعد من أكبر المعارك التي دارت بعد موقعة الزلاقة بين المرابطين والنصارى، سنة ٥٠٢هـ.

وفي سنة ٥٠٣هـ جاز علي بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس للجهاد في

---

(١) الحلل الموشية، ص٨٤.

(٢) أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص٢٥٣.

(٣) المعجب، ص١٧١، وانظر: الوافي بالوفيات، ٣٤١/٢٢.

مائة ألف جندي، وفتح مدنا كثيرة، منها: طلايوت، وفتح سبعة وعشرين حصنًا.

وفي سنة ٥٠٤هـ فتح المرابطون مدنًا كثيرة، منها البرتغال ولشبونة.

وفي سنة ٥١٦هـ بدأ ابن تومرت بدعوته، وبدأ يناوئ المرابطين، السبب الذي أضعف قوتهم في الأندلس.

ووقعت بين المرابطين وابن تومرت معركة البحيرة، وكان جيش الموحدين بقيادة محمد البشير الذي قتل في المعركة، وقتل من الموحدين عشرة آلاف، وهلك ابن تومرت في سنة ٥٢٤هـ من المرض.

وخلف ابن تومرت عبد المؤمن بن علي، فاستولى على كثير من بلاد السوس، في حياة علي بن يوسف بن تاشفين، وتوفي علي بن يوسف رحمه الله تعالى في أثناء ذلك، سنة ٥٣٧هـ[١].

خامسًا: إمارة تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين:

وكان بطلاً شجاعًا سالكًا طريق الشريعة متقسم الأحوال[٢].

وعندما تولى إمارة المرابطين كان الموحدون قد استولوا على كثير من بلاد المرابطين.

وكان مدة حكمه حرب مع الموحدين، وقد وصف – رحمه الله تعالى – بالشجاعة في هذه الحروب، ولكن الهزائم كانت تتوارد عليه، حتى قتل – رحمه الله تعالى – عندما سقط من فرسه، عام ٥٣٩هـ.

---

(١) استفدت من كتاب تاريخ الإسلام، للدكتور:حسن إبراهيم، ١٢٧/٤.

(٢) أعمال الأعلام، القسم الثالث، ص٢٥٦.

بعد ذلك عين إبراهيم بن تاشفين، وبقي أيامًا، ثم بايع جميع لمتونة عمه إسحاق بن علي، وكان صغيرًا، وحوصر مدة سنتين، حتى سنة ٥٤١هـ[١].

بعد ذلك قتل، وانتهت بذلك دولة المرابطين، التي كانت صفحة مشرقة في التاريخ الإسلامي.

- **الفصل الثالث: العلاقة بين دولة المرابطين والخلافة العباسية:**

لأهمية هذا الموضوع أفردت هذا الفصل له، وذلك لأن الخلافة العباسية في وقتها هي الخلافة الشرعية التي أجمع عليها المسلمون، لذلك لم تكن الدول التي كانت تنشأ في جسم الخلافة العباسية تأخذ الشرعية، إلا إذا اعتمدت من الخلافة العباسية.

لذلك حرص المرابطون على هذا الأمر، خاصة أن الفقهاء وأهل العلم، كان لهم دور في ذلك، فدفعوا أمراء المرابطين إلى الاتصال بالخلافة العباسية.

وقد اختلف أهل التاريخ في تحديد وقت اتصالهم بالخلافة العباسية، لكن ذكر "أن السكة المرابطية منذ عام ٤٥٠هـ في عهد الأمير أبي بكر ابن عمر قد نقش عليها أسماء الخلفاء العباسيين، وظل اسم الخليفة مقرونًا باسم أبي بكر ابن عمر، إلى أن توفي في عام ٤٨٠هـ"[٢].

وفي عهد يوسف بن تاشفين، اتضح اتصال المرابطين بالخلافة العباسية "عندما قال أشياخ قبيلته وأعيان دولته: أنت خليفة الله في هذا المغرب، وحقك

---

(١) نفس المرجع السابق، ص٢٦٤.

(٢) تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٣٥.

أكبر من أن تدعى بالأمير، بل ندعوك بأمير المؤمنين، قال لهم: حَاش لله أن نتسمى بهذا الاسم، إنما يتسمى به خلفاء بني العباس، لكونهم من تلك السلالة الكريمة، لأنهم ملوك الحرمين مكة والمدينة، وأنا رجلهم والقائم بدعوتهم"[١].

وهذا النص يدل على اعتراف يوسف بن تاشفين بالخلافة، وعلى طاعته لهم، بل أرسل إلى الخليفة العباسي[٢] مع أحد علماء المرابطين يلتمس له أن يؤمره على المغرب، ويحكمها له ولابنه أبي بكر، فاستجاب له الخليفة العباسي بذلك[٣].

ولم تقتصر العلاقة مع الخلافة العباسية على عهد يوسف بن تاشفين، بل امتدت..

فعندما تولى حكم المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٠هـ أرسل إلى الخليفة العباسي يجدد العهد.

ويوضح ذلك الرسالة التي أرسلها الخليفة العباسي المستظهر بالله إلى علي بن يوسف ابن تاشفين، ردًا على رسالته، قال فيها:

"عرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك، الموضح لإخلاص السريرة، المطبوعة بطبائع الدين، المعربة عن تمسكك بطاعته بحبل الله المتين.

وأما ما أنهيته من توفير الأجناد، ومثابرتك على الجهاد، لدفع أدناس

---

(١) الحلل الموشية، ص٢٩.

(٢) اختلف في تحديده. انظر: تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٣٧، وانظر نص الرسالة في كتاب: الوثائق السياسية، ص٢٧٢.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٢٣٧، وانظر: الاستقصاء، ١/١٢٢.

الكفرة فيما يليك من البلاد، فإنك وطائفتك من حزب الله، و"حزب الله هم الغالبون"[(١)]، فاتخذ التقوى عمادك، والحق منارك، وكتاب الله وسنة رسوله شعارك، وتجرد للدفاع عن الإسلام"[(٢)].

وبهذا تتبين الصلة الوثيقة بين دولة المرابطين والخلافة العباسية، إذ إن الدعاء للخلافة العباسية على المنابر سمة من سمات حكم المرابطين[(٣)].

- **الباب الثاني: عقيدة دولة المرابطين وموقفهم من الفرق المخالفة وموقف دولة الموحدين وبعض المستشرقين من دولة المرابطين وأبرز علماء المرابطين:**

- **الفصل الأول: عقيدة دولة المرابطين:**

كان المبحث السابق عن نشأة المرابطين، وعن جهود أفراد دولة المرابطين في نشر الإسلام.

وفي الحقيقة أن كتب التاريخ التي تكلمت عن هذه الدولة مليئة بذلك، لكن هذا المبحث (عقيدة المرابطين) لا يوجد فيه سوى إشارات في هذه الكتب تشير إليه، وهذا هو وجه الصعوبة في هذا المبحث.

وهذا لا يعني أن عقيدة المرابطين غامضة وغير واضحة، ولكنني أعني أنه لا يوجد – فيما أعلم – بحث مستقل يوضح عقيدة المرابطين، وما كان مشهورًا لديهم من كتب في العقيدة.

ولكن بعد النظر في كتب التاريخ التي كتبت عنهم ونقلت بعض

---

(١) سورة النساء، الآية: (٥٦).

(٢) انظر: الحلل الموشية، ص٨٨، ففيها نص الرسالة نقلت بعضها هنا.

(٣) انظر: الخلافة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص٥٤.

رسائلهم، وبعد النظر في كلام بعض العلماء الذين تكلموا عنهم بشكل مجمل، أو عن حال المغرب قبل قيام دولة الموحدين، تبين لي أن المرابطين كانوا على عقيدة أهل السنة والجماعة.

واتضح لي لعدة أدلة سوف أسوقها مع ذلك الشواهد على ذلك، وهي كما يلي:

أولاً: حال المغرب قبل مجيء دولة الموحدين:

بالنظر إلى حال المغرب قبل مجيء دولة الموحدين نجد أنهم كانوا على عقيدة أهل السنة والجماعة.

وهذا لا يعني أنه لا يوجد معتزلة أو شيعة أو خوارج، لكن هذه الفرق والمذاهب لم تكن هي السائدة على أهل المغرب، ولكن كانت توجد على شكل أفراد بالنسبة للمعتزلة، أو دول صغيرة لا تمثل التيار العام لأهل المغرب بالنسبة للخوارج أو الشيعة لا تلبث حتى تزول ويزول معتقدها، ويبقى التيار العام السائد وهو عقيدة أهل السنة والجماعة.

يقول شيخ الإسلام[1] عند حديثه عن ابن تومرت:

"واستحل دماء ألوف مؤلفة من أهل المغرب المالكية، الذين كانوا من أهل الكتاب والسنة على مذهب مالك وأهل المدينة"[2].

---

(١) هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي، ولد بحران سنة ٦٦١هـ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ٧٢٨هـ بدمشق، هو علم من أعلام الإسلام لا يحتاج إلى تعريف، له كتب مصنفة كثيرة، لم يصنف مثلها بعده.

انظر: العقود الدرية.

(٢) فتاوى شيخ الإسلام ٤٧٨/١١.

ويقول الدكتور عبد المجيد النجار: "لقد ظل أهل الأندلس والمغرب إلى القرن الخامس على الطريقة السلفية في الاعتقاد"(١).

ويقول الدكتور عبد الله علام: "يعتبر المهدي بن تومرت – صاحب الدولة الموحدية – أول من حمل المغاربة على الأخذ بمذهب التوحيد الكلامي، وكان المغرب – قبل دعوة ابن تومرت – يسير على مذهب السلف الصالح، ويمقت علم الكلام"(٢).

ويقول الشيخ أحمد بن خالد السلاوي(٣):"أما حالهم – أي أهل المغرب – في الأصول والاعتقادات، فبعد أن طهرهم الله تعالى من نزعة الخارجية أولا، والرافضة ثانيًا، أقاموا على مذهب أهل السنة والجماعة، مقلدين للجمهور من السلف – رضي الله عنهم – في الإيمان بالمتشابه، وعدم التعرض بالتأويل مع التنزيه عن الظاهر، وهو والله أحسن المذاهب وأسلمها.

واستمر الحال على ذلك مدة إلى أن ظهر محمد بن تومرت مهدي الموحدين في صدر المائة السادسة، فرحل إلى المشرق، وأخذ عن علمائه مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، ثم عاد محمد بن تومرت إلى المغرب،

---

(١) المهدي بن تومرت، حياته وآراؤه، ص٥٥.

(٢) الدولة الموحدية بالمغرب، ص٣٠٣.

(٣) هو أحمد بن خالد الناصري السلاوي، مؤرخ مشهور من المعاصرين، له كتاب الاستقصاء، مشهور في تاريخ المغرب، طبع في حياته، توفي في المغرب سنة ١٣١٥هـ.

انظر: التاريخ الأندلسي، لأحمد العبادي، ص٥٦٦.

ودعا الناس إلى سلوك هذه الطريقة، وجزم بتضليل من خالفها، بل بتكفيره، وسمى أتباعه الموحدين تعريضًا بأن من خالف طريقته ليس بموحد"[١].

ووقفت على كلام بنفس المعنى السابق للمقريزي رحمه الله تعالى، ولكنه نفيس جدًا، فرأيت أن أنقله هنا دون اختصار، لأهميته.

يقول رحمه الله تعالى: "انتشر مذهب أبي الحسن الأشعري في العراق من نحو ثمانين وثلاثمائة، وانتقل منه إلى الشام، فلما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ديار مصر، كان هو وقاضيه صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني على هذا المذهب، قد نشأ عليه منذ كانا في خدمة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق، وحفظ صلاح الدين في صباه عقيدة ألفها له قطب الدين أبو المعالي مسعود ابن محمد بن مسعود النيسابوري، وصار يحفظها صغار أولاده، فلذلك عقدوا الخناصر، وشدوا البنان على مذهب الأشعري، وحملوا في أيام دولتهم كافة الناس على التزامه، فتمادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بني أيوب، ثم في أيام مواليهم الملوك من الأتراك، واتفق مع ذلك توجه أبي عبد الله محمد بن تومرت أحد رجالات المغرب إلى العراق، وأخذ عن أبي حامد الغزالي مذهب الأشعري، فلما عاد إلى بلاد المغرب وقام في المصامدة يفقههم ويعلمهم وضع لهم عقيدة لقفها عند عامتهم، ثم مات، فخلفه بعد موته عبد المؤمن بن علي القيسي، وتلقب بأمير المؤمنين، وغلب على ممالك المغرب هو وأولاده من بعده مدة سنتين، وتسموا بالموحدين، فلذلك صارت دولة الموحدين ببلاد المغرب تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن

(١) انظر: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ٦٢/١.

تومرت، إذ هو عندهم الإمام المعلوم المهدي المعصوم، فكم أراقوا بسبب ذلك من دماء خلائق لا يحصيها إلا الله خالقها سبحانه وتعالى – وهم المرابطون – كما هو معروف في كتب التاريخ، فكان هذا هو السبب في اشتهار مذهب الأشعري، وانتشاره في أمصار الإسلام، بحيث نُسِيَ غيره من المذاهب، وجُهِلَ حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه، إلا أن يكون مذهب الحنابلة أتباع الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه، فإنهم كانوا على ما كان عليه السلف، لا يرون تأويل ما ورد من الصفات، إلى أن كان بعد السبعمائة من سني الهجرة، اشتهر بدمشق وأعمالها تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم[1] بن عبد السلام بن تيمية الحراني، فتصدى للانتصار لمذهب السلف، وبالغ في الرد على مذهب الأشاعرة، وصدع بالنكير عليهم، وعلى الرافضة، وعلى الصوفية، فافترق الناس فيه فريقان: فريق يقتدى به ويعول على أقواله، ويعمل برأيه، ويرى أنه شيخ الإسلام، وأجل حفاظ أهل الملة الإسلامية، وفريق يبدعه ويضلله، ويرزي عليه بإثباته الصفات، وينتقد عليه مسائل منها ما له فيه سلف، ومنها ما زعموا أنه خرق في الإجماع ولم يكن له فيه سلف، وكانت له ولهم خطوب كثيرة، وحسابه وحسابهم على الله، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وله إلى وقتنا هذا عدة أتباع بالشام، وقليل بمصر"[2].

ثانيًا: كثرة من أثنى عليهم ونسبهم إلى أهل السنة والجماعة:

عند النظر في الكتب التي تعرضت لذكر هذه الدولة نجد أنها مليئة

---

(١) في النسخة: عبد الحكيم، وهو خطأ.

(٢) انظر: الخطط المقريزية، ٣/٣١٣ .

بالثناء عليها في الجملة، وعلى من تولى إمارة هذه الدولة، وقد مر ذلك في الباب الأول.

وفي بعض المواضع تنسب هذه الدولة – أي المرابطين – إلى أهل السنة والجماعة، مما يؤكد أن دولة المرابطين كانت متمسكة بمعتقد أهل السنة والجماعة، وتدعو إليه.

والشواهد على ذلك ما يلي:

نسب شيخ الإسلام عندما كان يتحدث عن ابن تومرت، أن الذين استحل ابن تومرت دماءهم من أهل الكتاب والسنة، والذين استحل دماءهم وقاتلهم هم المرابطون، وهذا ما لا يشك فيه أحد، ومما تواترت به كتب التاريخ.

وهذا من الأدلة القاطعة على أن المرابطين كانوا من أهل السنة والجماعة، ونص شيخ الإسلام ما يلي:

"واستحل – أي ابن تومرت – دماء ألوف مؤلفة من أهل المغرب المالكية، والذين كانوا من أهل الكتاب والسنة على مذهب مالك، وأهل المدينة، يقرءون القرآن والحديث : كالصحيحين، والموطأ، وغير ذلك، والفقه على مذهب أهل المدينة، فزعم أنهم مشبهة مجسمة، ولم يكونوا من أهل هذه المقالة، ولا يعرف عن أحد من أصحاب مالك إظهار القول بالتشبيه والتجسيم[1]، واستحل أيضًا أموالهم، وغير ذلك من المحرمات"[2].

---

(١) سوف يأتي أن الموحدين كانوا يرمون المرابطين بالتجسيم.

(٢) فتاوى شيخ الإسلام، ٤٧٨/١١ .

ويقول ابن أبي زرع الفاسي: "مدينة تاتكلاتبن يسكنها قبيلة من صنهاجة يعرفون ببني وارث، وهم قوم صالحون على السنة والجماعة"[١].

وقال في موضع آخر عندما تكلم عن صنهاجة: "وأكثرهم على السنة والجماعة يجاهدون السودان"[٢].

وقال في موضع آخر: "ثم سار – أي عبد الله بن ياسين ومعه المرابطون – إلى قبائل لمتونة، وقاتلهم حتى ظهر عليهم، وأذعنوا إلى الطاعة وتابوا، وبايعوه على إقامة الكتاب والسنة"[٣].

ويقول ابن كثير[٤] – رحمه الله تعالى – في ترجمة أبي بكر بن عمر، أحد أمراء دولة المرابطين، تقدمت ترجمته: "كان في أرض فرغانة، اتفق له من الناموس مالم يتفق لغيره من الملوك – إلى أن قال – مع صحة اعتقاده ودينه"[٥].

ونقل صاحب الاستقصاء عن ابن جنون أنه قال: "كانت لمتونة أهل

---

(١) الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص١٢١.

(٢) انظر نفس المرجع السابق، ص١٢٠، وانظر: المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ص١٠٤ .

(٣) الأنيس المطرب ص١٢٦، وانظر: الاستقصاء ١٠٢/١.

(٤) هو المحدث الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ولد في دمشق عام ٧٠٠هـ وتوفي سنة ٧٥٠هـ، وهو من أعلام أهل السنة والجماعة، له مصنفات كثيرة، منها البداية والنهاية في التاريخ، وتفسير القرآن.
انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٣٩٩/١، والبدر الطالع ١٥٣/١.

(٥) البداية والنهاية ١٤٣/١٢.

ديانة وصدق ونية خالصة وصحة مذهب، ملكوا بالأندلس من بلاد الإفرنج إلى البحر الغربي والمحيط، ومن بلاد العدوة من مدينة بجاية إلى جبال الذهب من بلاد السودان، وخطب لهم على أزيد من ألفي منبر بالتثنية، وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن – إلى أن قال: – وكثرت الخيرات في دولتهم، وعمرت البلاد ووقعت الغبطة، ولم يكن في أيامهم نفاق ولا قطاع طريق، ولا من يقوم عليهم، وأحبهم الناس إلى أن خرج عليهم محمد بن تومرت مهدي الموحدين، سنة خمس عشرة وخمس مائة"[(١)].

ويقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن في رسالة له – رحمه الله تعالى – عن إحياء علوم الدين: "بل أفتى بتحريقها علماء المغرب ممن عرف بالسنة"[(٢)].

ويقصد بذلك كتب علم الكلام، التي أحرقها المرابطون ،كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

ثالثًا: صحة اعتقادهم في باب الأسماء والصفات:

معلوم أن عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات "الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في

---

(١) الاستقصاء ١٢٨/١.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ١٣١/٣.

أسماء الله وآياته، ولا يكيفون، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه، لأنه سبحانه، لا سمي له، ولا كفو له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثًا من خلقه"[1].

ومما سبق أثبتنا أن المرابطين من أهل السنة والجماعة، ويكفي هذا في الحقيقة؛ لأن يكون دليلاً على صحة اعتقادهم في باب الأسماء والصفات.

وإنما أفردت هذا وغيره فيما سيأتي زيادة أدلة وبراهين على أن المرابطين من أهل السنة والجماعة.

الشواهد على صحة اعتقادهم في باب الأسماء والصفات:

إن من أقوى الشواهد على ذلك وصف ابن تومرت، ومن جاء بعده من أصحابه لدولة المرابطين، بأنهم مجسمة.

يقول ابن تومرت في رسالة له: "واعلموا – وفقكم الله – أن المجسمين والمكارين وكل من نسب إلى العلم، أشد في الشذ عن سبيل الله من إبليس اللعين"[2].

وكتاب أبي بكر ابن علي، المعروف بالبيدق[3] الذي يعد من أتباع ابن تومرت، ومن الذين قاتلوا معه، كتابه مليء بوصف المرابطين بأنهم مجسمة.

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام، ١٢٩/٣ .

(٢) انظر: الوثائق السياسية ٣٢٢/٧.

(٣) هو أبو بكر بن علي الصنهاجي، الشهير بالبيدق، وهو من أتباع المهدي بن تومرت، خدمه في حياته وأرخ عنه.
انظر: كتاب الدول الموحدية، ص١٣.

يقول في موضع: "أنه – أي ابن تومرت – لما بلغه أن جيش المجسمين"[١].

ويقول في موضع آخر نقلاً عن ابن تومرت: "قولوا لهم – أي المرابطين –: أنتم أيضًا المجسمون"[٢].

وكذلك كتاب عبد الملك بن صاحب الصلاة[٣] الذي يعد من أتباع ابن تومرت، حيث يوجد في كتابه المن بالإمامة، يوجد في أكثر من موضع وصف المرابطين بأنهم مجسمون، ومن الأمثلة ما يلي:

نقل بعض رسائل الموحدين، وفيها: "ما ذكرتم من استبشاركم بما من الله تعالى لأولياء أمره من الفتح والنصر، وبما سناه الله للموحدين هناك من غزو المجسمين"[٤].

وعندما ننظر إلى عقيدة ابن تومرت نجد أنه من خلالها أطلق على المرابطين أنهم مجسمة.

يقول شيخ الإسلام: "ولهذا رأيت لابن التومرت كتابًا في التوحيد صرح فيه بنفي الصفات، ولهذا لم يذكر في مرشدته شيئًا من إثبات الصفات ولا إثبات الرؤية، ولا قال: إن كلام الله غير مخلوق، ونحو ذلك من المسائل

---

(١) انظر: أخبار المهدي بن تومرت، ص٣٥.

(٢) نفس المرجع السابق، ص٣٨، وانظر ص٥١، ٩٠ من نفس الكتاب.

(٣) هو عبد الملك بن محمد بن أحمد الباجي المكنى أبا مروان، المعروف بابن صاحب الصلاة، توفي سنة ٥٧٨هـ.

انظر مقدمة كتابه: المن بالإمامة.

(٤) المن بالإمامة، ص٢٤٧، وانظر: ص٢٧٣.

التي جرت عادة مثبتة الصفات بذكرها، ولهذا كان حقيقة قوله موافقًا لحقيقة قول ابن سبعين والقائلين بالوجود المطلق موافقة لابن سينا" [١].

وبعد معرفتنا عقيدة ابن تومرت لا تعجب من إطلاق لفظ المجسمة على دولة المرابطين "إذ إن كتب نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والرافضة ونحوهم كلها مشحونة بتسمية مثبتة الصفات مشبهة ومجسمة" [٢].

علمًا بأن المرابطين من أصحاب مالك.

يقول شيخ الإسلام: "ولا يعرف عن أحد من أصحاب مالك إظهار القول بالتشبيه والتجسيم" [٣].

بذلك نعلم أن قول الموحدين للمرابطين بأنهم مجسمة دليل على صحة عقيدة المرابطين، وأنهم من أهل السنة والجماعة.

ومن الأدلة على صحة مذهبهم في الأسماء والصفات ما ذكره صاحب تاريخ فلسفة الإسلام، مع أننا لا نوافقه في كلامه، ولكن ليس الموضع مجال مناقشته، لكن نذكر من كلامه ما نؤكد به قولنا عن المرابطين.. يقول: "ابن تومرت عندما يصف المرابطين بالتجسيم والتشبيه لا يفصل القول كثيرًا في ماهية هذا التجسيم والتشبيه، إلا أننا نشتم منه اتجاه إلى تأويل الآيات المتشابهة في القرآن تأويلاً عقليًا، يذكرنا بتأويل المعتزلة لها، أنه لم يتجه هذا الاتجاه إلا لأن المرابطين كان ينحون في تفسيرها نحو ما ذهب إليه السلفية المحدثة على يد ابن تيمية" [٤].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٤٣٨/٣ .

(٢) العقيدة الطحاوية، ٨٦/١.

(٣) فتاوى شيخ الإسلام، ٤٧٨/١١.

(٤) تاريخ فلسفة الإسلام، د/ حمدي هويدي، ص٢١٢.

رابعا: الحكم بما أنزل الله تعالى:

فقد ذكر المؤرخون في ترجمة يوسف بن تاشفين أن "رد أحكام البلاد إلى القضاة، وأسقط ما دون الأحكام الشرعية"(١).

وفي ترجمة ابنه علي: "كان علي بن يوسف واقفًا كأبيه عند إشارة الفقهاء وأهل العلم، قد رد جميع الأحكام إليهم"(٢).

"وعندما فتحوا بلاد السوس – أي المرابطين – أمر عبد الله بن ياسين عماله بإقامة العدل وإظهار السنة"(٣).

وفي رسالة لعلي بن يوسف بن تاشفين إلى أحد عماله قال فيها:

"وقد رأينا والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء الطريق، أن نجدد عهدنا إلى عمالنا بالتزام أحكام الحق، وإيثار أسباب الرفق لما نرجوه في ذلك من الصلاح الشامل، والخير العاجل، والله تعالى ييسرنا لما يرضيه في قول وعمل بقوته"(٤).

وهذه الشواهد تكفي للدلالة على أنهم كانوا يحكمون بما أنزل الله سبحانه وتعالى، وهذه دلالة مع ما قبلها أنهم من أهل السنة والجماعة.

خامسا: سمعهم وطاعتهم للخليفة(٥):

معلوم أنه في زمن المرابطين كانت الدولة العباسية قائمة على ما فيها من الضعف، ولكنها كانت ترمز للخلافة الشرعية.

---

(١) انظر: الاستقصاء، ١/١٢٣ وغيره من المراجع.

(٢) انظر: الاستقصاء، ١/١٢٩.

(٣) انظر: الأنيس المطرب، ص١٢٩.

(٤) انظر: البيان المغرب ٤/٦٣، والوثائق السياسية، ٧/٢٩٨ .

(٥) انظر: معالم الانطلاقة الكبرى، ص١٨٠، ففيه مبحث مهم في ذلك.

لذلك حرصت الدولة المرابطية على الاتصال بالدولة العباسية، لأخذ الشرعية.

والسمع والطاعة للخليفة الذي تجتمع فيه الشروط من صفات أهل السنة والجماعة، لقوله صلى الله عليه وسلم: "من كره من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية"(١).

وفي لفظ: "من رأى من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية"(٢).

ومن الشواهد على ما قلنا عن المرابطين هي ما يلي:

إرسال يوسف بن تاشفين للخليفة العباسي في وقته(٣) طالبًا منه أن يعقد له صحة إمارته، فعقد له الخليفة بذلك(٤).

يقول في ذلك صاحب الاستقصاء: "وإنما احتاج أمير المسلمين إلى التقليد من الخليفة المستظهر بالله مع أنه كان بعيدًا عنه، وأقوى شوكة منه، لتكون ولايته مستندة إلى الشرع، وهذا من ورعه رحمه الله تعالى، وإنما تسمى بأمير المسلمين دون أمير المؤمنين أدبًا من الخليفة حتى لا يشاركه في

---

(١) رواه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (سترون بعدي أمورًا تنكرونها) ٢٥٨٨/٦.

(٢) رواه البخاري في نفس الكتاب والباب السابق، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين.. حديث رقم ١٨٤٩.

(٣) هو أبو العباس أحمد المستظهر بالله.

(٤) انظر: الاستقصاء، ١٢٢/١ .

لقبه؛ لأن لقب أمير المؤمنين خاص بالخليفة، والخليفة من قريش[١]، كما في الحديث فافهم ذلك"[٢].

وقال الغزالي في فتوى له: "إن يوسف كان على الحق في إظهار شعار الإمامة للخليفة المستظهر، وأن هذا هو الواجب على كل ملك استولى على قطر من أقطار المسلمين، وإذا نادى الملك المشمول بشعار الخلافة العباسية، وجبت طاعته على كل الرعايا والرؤساء، ومخالفته مخالفة للإمام"[٣].

سادسا: محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

يقول شيخ الإسلام[٤]:"حق الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن نؤمن به، ونطيعه، ونتبعه، ونرضيه، ونحبه، ونسلم لحكمه، وأمثال ذلك.

قال تعالى: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[٥].

وقال سبحانه: ﴿وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٧].

---

(١) انظر حول اشتراط القرشية كتاب: الإمامة العظمى، ص٢٦٥.

(٢) الاستقصاء، ١٢٢/١.

(٣) عصر المرابطين، لعنان ٤٢/١، وانظر: الوثائق السياسية ٢٨٧/٧ .

(٤) انظر: العقيدة التدمرية، ص٢٠٦.

(٥) سورة النساء، الآية: (٨٠).

(٦) سورة التوبة، الآية: (٦٢).

(٧) سورة آل عمران، الآية: (٣١).

وهناك نصوص توضح أن دولة المرابطين يتصفون بهذا.. ومن هذه النصوص:

رسالة أرسلها تاشفين بن علي إلى أحد قضاته جاء فيها: "ونصلي على محمد نبيه ورسوله، الذي طهره تطهيرًا، وأرسله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرا، فبلغ رسالة ربه وهداه، وصبر على مشقة البلاغ وأذاه، ولم يخش أحدًا إلا الله الذي رجاه، إلى أن بلغ الكتاب أجله، والدين مداه، وانتهى ملك أمته إلى ما كان الله له زواه، صلى الله عليه وسلم، وعلى صحبه الذين ذبوا عن هذا الدين وحموا حماه، ووالوا من والاه، وعادوا من عاداه"(١).

وهذا النص وعموم النصوص السابقة تدل على محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

سابعا: حبهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: "ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم"(٢).

وتوجد نصوص تاريخية تؤكد أن دولة المرابطين من الذين يحبون صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، منها:

---

(١) عصر المرابطين لعنان، ص٥٤٨، والوثائق السياسية، ٣٢٥/٧.

(٢) الفتاوى، ١٥٢/٣.

ما جاء في رسالة تاشفين إلى بعض قضاته، قال فيها:

"بعد الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى صحبه الذين ذبوا عن هذا الدين وحموا حماه، ووالوا من والاه، وعادوا من عاداه"(١).

ثامنا: حرصهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

هناك نصوص كثيرة تدل على حرص دولة المرابطين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعروف أن هذا الأمر من خصائص أهل السنة والجماعة.

والنصوص التاريخية هي ما يلي:

"عندما ارتحل عبد الله بن ياسين إلى سجلماسة دخلها، وقتل من وجد بها من مغراوة، وأقام بها حتى أصلح شأنها، وغير ما وجد بها من المنكرات، وقطع المزامير، وآلة اللهو، وأحرق الدور التي كانت تباع بها الخمور، وأزال المكوس، وأسقط المغارم المخزنية، ومحا ما أوجب الكتاب والسنة محوه"(٢).

ولعل هذه الأدلة التي سبق ذكرها كافية في إثبات أن المرابطين كانوا من أهل السنة والجماعة، ومن الداعين إلى منهج أهل السنة والجماعة على العموم.

علمًا أن هناك أدلة أخرى، أعرضت عنها خوفًا من الإطالة.

---

(١) انظر: عصر المرابطين لعنان، ص٥٤٨، والوثائق السياسية، ٣٢٦/٧. وهناك نص آخر يدل على هذا الموضوع في كتاب الاستقصاء، ١٢٣/١.

(٢) الأنيس المطرب ص١٢٨، وانظر: المؤنس، ص١٠٥، وانظر: الاستقصاء، ١٠٢/١.

• **الفصل الثاني: موقف دولة المرابطين من أصحاب البدع:**

الواجب الأول على أهل السنة والجماعة تجاه أهل البدع هو بيان حالهم، وتحذير الأمة منهم، وإظهار السنة، وتعريف المسلمين بها، ثم قمع البدع ودفع بغي وعدوان أهلها.

كل ذلك في إطار الانضباط بالعدل، والاحتكام للكتاب والسنة[1].

وبما أننا أثبتنا في الفصل السابق أن المرابطين على عقيدة أهل السنة والجماعة، فلابد لنا من التعرض لموقفهم من أهل البدع، خاصة أن بلاد المغرب كان يوجد فيها أصحاب بدع قبل مجيء دولة المرابطين، وفي أثناء قيامها.

وسوف أتعرض فيما يلي لموقفهم من برغواطة، ومن الرافضة، ومن المريدين (الصوفية)، ومن أهل الكلام، ومن الخوارج.

أولاً: موقفهم من برغواطة:

برغواطة تعتبر أخلاطًا من قبائل شتى من البربر، اجتمعوا إلى رجل يقال له صالح بن طريف، حين ادعى النبوة، في عهد هشام بن عبد الملك بن مروان.

ويرجع أصل هذا الرجل إلى اليهود، وهو من حصن في الأندلس، يقال له: برباط، ويقال لمن تبعه في ديانته: برباطي، فعربته العرب وقالوا: برغاطي، فسموا برغواطة.

وقد رحل صالح بن طريف من الأندلس إلى المشرق، ودرس على

(١) معالم الانطلاقة الكبرى، ص١٤٩ .

بعض المعتزلة، وتعلم السحر، ثم رجع إلى المغرب، ونزل بلاد تامسنا، ووجد فيها قبائل من البربر جهالا، فأظهر لهم الإسلام والزهد والورع، وأخذ بعقولهم، واستمالهم بسحره، وبعد ذلك ادعى النبوة، فأحل الحرام، وزعم أنه أنزل عليه وحي، وكتب لهم كتابًا[١]، زاعمًا أنه وحي من الله، ومن شك فيه فهو كافر.

وذكر أهل التاريخ عنه أمورًا كثيرة تدل على كفر وإلحاد هذه الفرقة، أعرضت عن ذكرها خوفًا من الإطالة.

فلما سمع بخبرهم عبد الله بن ياسين قاتلهم هو والمرابطون، وكان رئيس هذه القبيلة في زمن عبد الله بن ياسين أحد أحفاد الكذاب صالح بن طريف.

ودارت بينه وبينهم حروب وقتال جرح في أثنائها عبد الله بن ياسين، وتوفي بسبب هذه الجروح، وأكمل القتال المرابطون بقيادة الأمير أبي بكر بن عمر، فاستأصل برغواطة، حتى فروا بين يديه، وتفرقوا في الصحراء، وأذعنوا له بالطاعة، وأسلموا إسلامًا جديدًا[٢].

ثانيًا: موقفهم من الرافضة:

كان في المغرب زمن المرابطين فرقة من الشيعة يقال لهم: البجلية، منسوبين إلى عبد الله البجلي الرافضي، الذي قدم إلى بلاد السوس، وأشاع هنالك مذهبه، فورثه بعده جيلاً بعد جيل، لا يرون الحق إلا ما في أيديهم.

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب الأنيس المطرب، ص١٣٠.

(٢) انظر: الأنيس المطرب ص١٣٠، وأعمال الأعلام، القسم الثالث، ص١٨٢، وانظر: كتاب التاريخ العباسي للعبادي، ص٤٨٨، والاستقصاء، ١٠٣/١.

فقاتلهم المرابطون بقيادة الأمير أبي بكر بن عمر، وعبد الله بن ياسين، وفتح مدينتهم رودانة، وقتل بها من الروافض خلق كثير، فرجع من بقي منهم إلى السنة، وأخذ – أي عبد الله بن ياسين – أموال من قتل منهم، وجعلها فيئًا للمرابطين(١).

ثالثًا: المريدون:

والمقصود بهم الصوفية، قد واجه الصوفية التي كانت متمثلة في أفراد علماء دولة المرابطين، لذلك لم تلق بضاعة الخرافات التي كان يروجها الصوفية مجالاً في دولة المرابطين.

ويذكر صاحب الاستقصاء أن أحدهم – أي الصوفية – عندما مات أمر يوسف بن تاشفين برميه على المزبلة(٢).

يقول الدكتور حسن علي حسن: "وظاهر الإيمان بالخوارق والمعجزات لم تكن في الدولة المرابطية بالكثرة التي صاحبت قيام دولة الموحدين، وهذا يرجع إلى الدعوة التي نادى بها ابن ياسين، مع التزامه بأحكام الكتاب والسنة"(٣).

رابعًا: موقفهم من أهل الكلام:

يقول عبد الواحد المراكشي: "دان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام، وكراهة السلف له، وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنه

---

(١) انظر: الأنيس المطرب، ص١٢٩، والاستقصاء، ١٠٢/١ .

(٢) انظر: الاستقصاء، ١٢٩/١.

(٣) الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص٤٨٠ بتصرف.

بدعة في الدين، وربما أدى أكثره إلى اختلال في العقائد، في أشباه لهذه الأقوال حتى استحكم في نفسه – أي علي بن يوسف بن تاشفين – بغض علم الكلام وأهله، فكان يكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه" (١).

ولما كان كتاب الأحياء فيه علم كلام، أمر بتحريقه علي بن يوسف بن تاشفين، وطالب جميع من في الدولة بإحراق كتاب إحياء علوم الدين، وكتبه الأخرى التي فيها علم الكلام (٢).

يقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى: "وقد سلك – أي الغزالي – في الإحياء طريق الفلاسفة والمتكلمين، في كثير من مباحث الإلهيات وأصول الدين، وكسا الفلسفة لحاء الشريعة، حتى طعنها الأغمار والجهال بالحقائق من دين الله، الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، ودخل به الناس في الإسلام، وهي في الحقيقة محض فلسفة منتنة، يعرفها أولو الأبصار، قد حذر أهل العلم والبصيرة عن النظر فيها، ومطالعة خافيها وباديها، بل أفتى بتحريقها علماء المغرب ممن عرف بالسنة، وسماها كثير منهم أمانة علوم الدين" (٣).

ويقول عبد الرحمن دمشقية: "فالإحياء مليء بمادة الفلسفة، وكذلك مشكاة الأنوار، وكتاب معارج القدس، وميزان العمل، إلخ... "(٤).

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص١٧٢، وانظر: الوافي بالوفيات، ٣٤١/٢٢ .

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٧٣، وكتاب الاستقصاء، ١٢٩/١ .

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، ١٣١/٣ .

(٤) انظر: أبو حامد الغزالي والتصوف، ص٦٨.

خامسًا: الخوارج:

لم أجد من تكلم عن دور المرابطين في مقاومة الخوارج – مع أن الخوارج كان لهم دور قبل المرابطين – سوى عبارة قصيرة للدكتور محمود إسماعيل، قال فيها: "وبعد أن فتح المرابطون وارجلان رحل أباضيتها بكتبهم"[1].

وهذه العبارة تدل – والله أعلم – على أن المرابطين حاربوا الأباضية، أو ضايقوهم وإلا لما رحلوا.

- **الفصل الثالث: موقف دولة الموحدين وبعض المستشرقين من دولة المرابطين:**

معلوم أن دولة الموحدين من أشد أعداء دولة المرابطين، وخاصة زعيم الموحدين محمد ابن تومرت.

لذلك وجه الموحدون وعلى رأسهم محمد بن تومرت انتقادات كثيرة إلى المرابطين، حتى أن محمد بن تومرت كان يقتل بعض أصحابه لتشويه سمعة المرابطين.

يقول شيخ الإسلام: "فصار – أي محمد بن تومرت – يجيء إلى المقابر يدفن بها أقوامًا ويواطئهم على أن يكلموه إذا دعاهم، ويشهدوا له بما طلبه منهم، مثل أن يشهدوا له بأنه المهدي، الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي يواطئ اسمه اسمه، واسم أبيه اسم أبيه، وأنه الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا، وأن من اتبعه أفلح، ومن خالفه خسر، ونحو ذلك من الكلام، فإذا اعتقد أولئك البربر أن الموتى يكلمونه ويشهدون

(١) الخوارج في بلاد المغرب، ص١٦.

له بذلك، عظم اعتقادهم فيه وطاعتهم لأمره، ثم إن أولئك المقبورين يهدم عليهم القبور ليموتوا، ولا يظهروا أمره" [١].

فإذا علمنا هذا مع علمنا بما يعتقد من نفي الصفات ومن تشيعه وغير ذلك من الأمور، التي نبهنا على بعضها فيما سبق، لا نعجب من الانتقادات التي وجهها إلى المرابطين، خاصة أن المرابطين من أهل السنة والجماعة.

لذلك أعرضت عن ذكر هذه الانتقادات[٢]؛ لأن معرفة حال دولة الموحدين تغني عن بيان بطلان هذه الانتقادات، ولأني ذكرت في الفصل الأول من الباب الثاني بعض هذه الانتقادات، وبينت بطلانها.

كما انتقد المرابطين بعضُ المستشرقين منهم رينهارت دوزي، حيث قال: "إن الشعب الأندلسي لم يكن له أن يهنئ نفسه بالانقلاب الذي وقع "يعني تحول الأندلس إلى سلطان المرابطين"، ذلك أن الحكومة والقادة والجند جميعًا قد فسدوا بسرعة مذهلة" [٣].

وهذا القول معلوم بطلانه من خلال كتب التاريخ، التي ذكرت أن قادة المرابطين كانوا أهل ديانة وصدق، وجهاد وورع، وأن الجيش المرابطي كان من الطراز الأول في العسكرية الإسلامية، من حيث الانضباط والمرابطة في سبيل الله ،كما فصلنا ذلك سابقًا.

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام، ٤٧٧/١١.

(٢) انظر: أخبار المهدي بن تومرت، للبيدق، وكتاب المن بالإمامة، لابن صاحب الصلاة، وانظر كتاب قيام دولة المرابطين، ص١٨١.

(٣) عصر المرابطين والموحدين، لعنان، ص٤٢٢.

كما قال دوزي "في أن المرابطين يعاملون الناس في الأندلس كبلد مفتوح، ويأخذون منها كل ما راق لهم، من نقد ومال ونساء"[1].

ويقول مستشرق آخر، وهو كارل بروكلمان في كتابه: تاريخ الشعوب الإسلامية[2]:"لكن الاستياء من حكم المرابطين لم يلبث أن تعاظم في المدن الإسلامية، لأن جيوش البربر عاشت في الأرض بضراوة لا تقل عن ضراوة المرتزقة من جنود الأمراء من قبل".

ومعلوم أن المرابطين لم يعبروا الأندلس إلا من أجل الجهاد، وكان عامتهم يجاهدون في الأندلس، وإن حدث من بعضهم شيء فلا يعني أنهم أشد ضراوة من المرتزقة، كما يقوله هذا الظالم.

ويقول المؤرخ الأمريكي أرشيبا لدلويس: "يمكن القول باختصار أن كل الأقاليم الهامة المطلة على البحرين: المتوسط والأسود – عدا إقليم غرب أوروبا – شاهدت تغييرًا كاملاً شاملاً، نتيجة ظهور جماعات قبلية قادمة من الخارج، فالبتشناغ والسلاجقة الأتراك والعرب الهلالية والمرابطون كلهم سواء، فهم قبائل رحل خرجوا من صحاريهم نتيجة ظروف سياسية، أو اقتصادية، أو مناخية، وكانوا قليلي التقدير للأوضاع السياسية، والاقتصادية السائدة في البلاد التي أغاروا عليها، بل كانوا مخربين لكل حضارة مستقرة"[3].

وعند دراسة تاريخ المرابطين دراسة علمية موضوعية نجد أن تاريخ

---

(١) انظر: عصر المرابطين والموحدين، لعنان، ص٤٢٢.

(٢) انظر: ص٣٢٣.

(٣) القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ص٣٦٢.

دولة المرابطين بخلاف ما ذكر، وماسبق بيانه في الفصول السابقة من تاريخ هذه الدولة يوضح عدم صحة هذه الانتقادات التي لا تقوم على أدلة علمية.

- **الفصل الرابع: أبرز علماء دولة المرابطين**

لما كانت دولة المرابطين قائمة على دعوة الشيخ عبد الله بن ياسين، وهو أحد علماء الغرب، الذي كان له تأثير في هذه الدولة أصبح العلماء بعده في دولة المرابطين لهم دور كبير في الدولة، وهذا معروف في تراجم أمراء المرابطين، كما مر معنا في الباب الأول: أنهم كانوا لا يعقدون أمرًا إلا بمشورة العلماء، لذلك برز علماء في دولة المرابطين، نذكر منهم على سبيل المثال مؤسس دولة المرابطين عبد الله بن ياسين، والقاضي عياض، وأبابكر ابن العربي، والقاضي محمد بن الفراء.

أولاً: عبد الله بن ياسين:

يقول عنه القاضي عياض: "ذو الأنباء العظيمة، القائم بدعوة المرابطين، المزين لدولتهم لأول خروجهم، كان أول من طلبه وكاك اللمطي في داره بناها بالسوس للعلم والخير" (١).

ويقول ابن أبي زرع: "وكان عبد الله بن ياسين شديد الورع في المطعم والمشرب" (٢).

ودوره في تأسيس دولة المرابطين قد ذكرته سابقًا فلا أعيده، وإنما ذكرت عبد الله ابن ياسين هنا لأنبه إلى أنه من أبرز علماء المرابطين.

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ٨/٨١.

(٢) الأنيس المطرب، ص١٣٢.

ثانيًا: القاضي عياض:

هو الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض[١].

ولد سنة ٤٧٦هـ. استقضى بسبتة مدة طويلة، حمدت سيرته فيها، ثم نقل عنها إلى قضاء غرناطة[٢].

وهو إمام الحديث في وقته، وأعرف الناس بعلومه[٣].

له كتب، منها: الشفا في شرف المصطفى، وكتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك، وكتاب شرح حديث أم زرع، وكتاب الإكمال في شرح صحيح مسلم[٤].

توفي رحمه الله تعالى سنة ٥٤٤هـ[٥].

ثالثًا: القاضي أبو بكر ابن العربي:

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي.

ولد في أشبيلية سنة ٤٦٨هـ، ونشأ – رحمه الله – في بيت علم.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء، ٣١٢/٢٠.

(٢) انظر: كتاب الصلة لابن بشكوال، ٤٥٣/٢.

(٣) وفيات الأعيان، ٤٨٣/٣.

(٤) كل هذه الكتب مطبوعة متداولة، ما عدا الأخير، وهو يحقق في جامعة الإمام كما علمت .

(٥) انظر ترجمته في الصلة ٤٥٣/٢، وبغية الملتمس رقم ١٢٦٩، وتذكرة الحفاظ ١٣٠٤/٤، والإحاطة في أخبار غرناطة ٢٢٢/٤، والديباج المذهب ٤٦/٢، جذوة الاقتباس ص٢٧٧.

رحل مع أبيه سنة ٤٨٥هـ من الأندلس إلى إفريقيا.

وهو موصوف بطول باعه في العلوم، وخاصة في الحديث والفقه، له كتب كثيرة نافعة، منها: عارضة الأحوذي، والعواصم من القواصم، وكلها مطبوعة.

وهو الذي حمل مع أبيه رسالة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين إلى الخليفة العباسي كما مر سابقًا.

توفي رحمه الله تعالى سنة ٥٤٣هـ[١].

رابعًا: القاضي محمد بن يحيى الفراء:

ذكرت هذا العلم لقصة سوف أذكرها، تبين منزلته رحمه الله تعالى.

هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن زكريا، من أهل المرية، وقاضيها، يعرف بابن الفراء، ويكنى: أبا عبد الله.

كان رجلاً صالحًا دينًا متواضعًا، سمع الناس منه بعض ما رواه، واستقضى ببلده، واستشهد بقتندة في ربيع الأول، سنة ٥١٤هـ[٢].

ذكر صاحب المعيار المعرب "أنه لما كتب أبو يعقوب يوسف بن تاشفين إلى قاضي المرية محمد بن يحيى، عرف بابن البكراء[٣] رحمهما الله تعالى، يأمره بفرض المعونة، ويرسل إليه بها، فامتنع محمد بن يحيى من فرضها، وكتب إليه يخبره أنه لا يجوز له فرضها، فجاوبه الأمير يخبره بأن القضاة

---

(١) انظر: مقدمة العواصم من القواصم.

(٢) انظر: كتاب الصلة لابن بشكوال ٥٧٢/٢، والحلة السيراء، ٢١١/٢.

(٣) الصحيح ابن الفراء، كما في الصلة، والحلة السيراء.

عنده والفقهاء قد أباحوا له فرضها، وأن عمر بن الخطاب قد فرضها في زمانه، فراجعه القاضي محمد بن يحيى، وكتب له:

الحمد لله الذي إليه مآبنا، وعليه حسابنا، وبعد:

فإنه قد بلغني كتابك، تذكر فيه ما كان تأخري عن المعونة وقبضها، وأن القضاة والفقهاء أفتوك بقبضها، وأن عمر – رضي الله عنه – اقتضاها.

فالقضاة والفقهاء إلى النار دون زبانية، فإن عمر قد اقتضاها فكان صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ووزيره وضجيعه في قبره، ولاشك في عدله، وأنت لست مصاحبًا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا وزيره ولا ضجيعًا له في قبره، وقد يشك في عدلك، وما اقتضاها عمر حتى دخل المسجد بحضرة من كان معه من الصحابة رضي الله عنهم، وحلف أن ليس عنده درهم في بيت مال المسلمين ينفقه عليهم، فإن كان الفقهاء والقضاة قد أنزلوك كمنزلته في العدل، فالله حسيبهم وسائلهم على تقلدهم ذلك، فلتدخل المسجد بحضرة من هناك من أهل العلم، وتحلف أن ليس عندك في بيت مال المسلمين درهم تنفقه عليهم، وحينئذ تجب تقويتك، والله تعالى على ذلك كله الحق، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

فلما بلغ ذلك أبا يعقوب، وعظه الله بقوله، ولم يعد عليه في ذلك أمرًا، والأعمال بالنيات"[1].

(١) المعيار المعرب والجامع المغرب، ١٣٢/١١، وانظر: الاستقصاء، ١٢٢/١ .

• المراجع

- ابن قيم الجوزية، حياته، آثاره: تأليف بكر بن عبد الله أبو زيد – الرياض، مكتبة المعارف، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
- أبو حامد الغزالي والتصوف، تأليف: عبد الرحمن دمشقية، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، تأليف: محمد محمود عبدالله بن بيه، دار ابن حزم ودار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١ه.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، تأليف: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ.
- أخبار المهدي بن تومرت، تأليف أبي بكر الصنهاجي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧١م.
- الاستقصاء لأخبار دول المغرب والأقصى، تأليف: أحمد السلاوي، طبع في القاهرة، ١٨٩٤م.
- الأنيس المطرب بروضة القرطاس، تأليف: علي بن أبي زرع الفاسي، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م.
- الإمامة العظمى: تأليف عبد الله بن محمد الدميجي، دار طيبة، الطبعة الأولى.
- أهمية الجهاد، تأليف: علي العلياني، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

- البداية والنهاية، تأليف: أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: جماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف: القاضي محمد الشوكاني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تأليف: ابن عذاري المراكشي، تعليق: إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.
- بغية الملتمس، تأليف الضبي، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م.
- تاريخ ابن خلدون، تأليف: عبد الرحمن المغربي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٣٩١هـ.
- تاريخ الإسلام، تأليف حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.
- تاريخ الشعوب الإسلامية، تأليف: كارل بروكلمان، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٧٩م.
- التاريخ الأندلسي، تأليف: عبد الرحمن علي الحجي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، تأليف: د. يحيى هويدي، مكتبة النهضة المصرية.
- تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، تأليف: د. حمدي حسين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦م.

- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (أعمال الأعلام)، تأليف: لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق جماعة، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤م.

- التدمرية، تأليف ابن تيمية، تحقيق: محمد السعوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تأليف: القاضي عياض السبتي، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤٠٢هـ.

- الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، تحقيق: د. حسن علي حسن، مكتبة الخانجي، مصر – الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

- الحلل الموشية، لمؤلف مجهول، تحقيق: جماعة، دار الرثاء الحديثة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

- الحلة السيراء، تأليف: أبي عبد الله القضاعي، تحقيق: د. حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٦٣م.

- الخطط المقريزية، تأليف الشيخ أحمد المقريزي، مكتبة إحياء العلوم، لبنان.

- الخوارج في بلاد المغرب، تأليف: د. محمود عبد الرزاق، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ١٩٧٦م.

- درء تعارض العقل والنقل، تأليف: ابن تيمية، تحقيق: د. محمد سالم، طباعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تأليف: أحمد بن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت.
- دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، تأليف: د. عصمت دندلك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- دول الطوائف، تأليف محمد عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩م.
- الدول الموحدية بالمغرب، تأليف: د. عبد الله علام، دار المعارف، مصر، ١١١م.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تأليف: ابن فرحون المالكي، تحقيق: د.محمد أبو النور، مكتبة دار التراث – القاهرة.
- الزلاقة، بقيادة يوسف بن تاشفين، تحقيق: شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ.
- سير أعلام النبلاء، تأليف الإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- شرح العقيدة الطحاوية، تأليف الإمام علي الدمشقي، تحقيق: التركي، الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- الشريعة الإلهية في مسألة الحكم بما أنزل الله، تأليف عمر الأشقر، دار الدعوة، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- في التاريخ العباسي والأندلسي، تأليف: أحمد مختار العبادي، دار النهضة للطباعة، بيروت، ١٩٧٢م.

- القوى البحرية والتجارية، تأليف: أرشيبا لد لويس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- قيام دولة المرابطين، تحقيق: د. حسن محمد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م.
- صحيح البخاري، تأليف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، تحقيق: د. مصطفى البغا، اليمامة للطباعة والنشر – دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- صحيح مسلم، تأليف: أبي الحسن النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد، دار إحياء التراث الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٣٧٥هـ.
- الصلة، تأليف: ابن بشكوال، مطابع العرب، القاهرة.
- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، تأليف: محمد عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ.
- العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: محمد الحنبلي، مطبعة المدني – مصر.
- العواصم من القواصم، تأليف: القاضي أبي بكر بن العربي، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ.
- الكامل في التاريخ، تأليف: ابن الأثير، دار الكتاب العربي، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ.
- مجموع فتاوى شيخ ابن تيمية، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.

- مجموع الرسائل والمسائل النجدية، الطبعة الأولى، مطبعة المنار بمصر.
- مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.
- معالم الانطلاقة الكبرى، تأليف: محمد المصري، الرياض، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تأليف عبد الواحد المراكشي، صححه محمد العريان، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ.
- المعيار المعرب، تأليف: أبي العباس أحمد الونشريسي، نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب، الرباط، ١٤٠١هـ.
- المغرب الكبير، تأليف الدكتور: السيد سالم، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.
- المن بالإمامة، تأليف: عبد الله بن أبي صاحب الصلاة، تحقيق: الدكتور عبدالهادي التاجي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م.
- المهدي بن تومرت، حياته وآراؤه، تأليف: الدكتور عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تأليف: أبي عبد الله القيرواني، تحقيق: محمد شماس – تونس.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف: أحمد التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ.
- الوافي بالوفيات، تأليف: الصفدي، اعتناء رمزي بعلبكي، بيروت، دار صادر، ١٤٠٤هـ.

- الوثائق السياسية والإدارية، الجزء السابع، تأليف: محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- وفيات الأعيان، تأليف: أبي العباس أحمد بن خلكان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة بيروت.
- الولاء والبراء، تأليف: محمد بن سعيد القحطاني، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى.